صوم رمضان ونشأته – فكتور بيدار
والمدنية الموبرية

صوم رمضان ونشأته

جاء في القرآن ، في السورة الثانية (١٧٩–١٨٣) : « يا ايها الذين آمنوا ، كُتب عليكم الصيام كما كُتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون . اياماً معدودات ، فمن كان منكم مريضاً او على سفر فعدة من ايام أُخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيراً فهو خير له وان تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون . شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن هدى للناس وبيّنات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصُمْه ومن كان مريضاً او على سفر فعدة من ايام اخر . . . ؛ واذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعانِ فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون . »

وورد في الحديث اقوال عديدة تؤيد الايات القرآنية وترغب المسلمين بالصيام . فالبخاري ومسلم والترمذي يجمعون في القول ان في شهر رمضان تُفتح ابواب الجنة وتغلق ابواب الجحيم الخ . وفي هذا الشهر يذكر المسلمون الدعوة النبوية وغفران الخطايا وغير ذلك مما اتخذه السيد گولدتسيهر مادة للتفتيش عن اصل رمضان ، في مجلة الاسلام الالمانية ، (Der Islam: *Zur Entstehung des Ramadans*. *Von* F. Goitein) في المجلد الثامن عشر ، ص ١٨٩ ، فرأينا ان نعرب مقاله موجزاً للقراء بمناسبة ابتداء صوم رمضان في خلال شهر كانون الثاني ، قال :

اجمع المحدثون على القول ان صوم رمضان حلّ بين المسلمين محلّ صوم عاشوراء بين اليهود ، فما هي العلاقة بين رمضان وعاشوراء ؟ ان المسلمين اتخذوا الكعبة قبلةً لصلاتهم ولم يحدثوا بذلك امراً جديداً ، والكعبة كانت قبلةً لعبادة العرب في الجاهلية . فهل يكون صوم اليهود في عاشوراء ، او يوم الغفران ، قد فتح السبيل لادخال صوم رمضان بين المسلمين ؟ ان ما جاء في

الآية القرآنية (٢: ١٨٢) عن اجابة دعوة الله عباده اذا سألوا عنه ، ووقوع تلك الآية حلقة في الكلام على الصيام ، ادّى الى ادماج فكرة الغفران في فكرة الصيام ، فجعلوا الصيام من اسباب مغفرة الخطايا وذهبوا يشبهون رمضان بعاشوراء ويستعيضون عن هذا بذاك .

وقد يؤيد هذا القول ما يعرف عن الظروف التي أسست يوم الغفران عند اليهود، والظروف التي أسست رمضان عند المسلمين . ان اليهود عيّدوا يوم الغفران ذكرًا لاعطاء لوحي الوصايا ، ونزول موسى من جبل سينا ، واعلانه آنذاك ان الله غفر لشعبه . وكثيرًا ما اتى ذلك في التوراة وفي تعليم الربانيين حتى جعلوا يوم الغفران ، وهو تذكار ظهور الله لموسى ، عقدةً لحلقة الحفلات الدينية شأنَ غيره من اعيادهم . ووضع القرآن ايضاً اسباباً ليوم عاشوراء اقامة موسى على الجبل ، وذكر خطيئة الشعب بعبادته العجل الذهبي ، وذكر الغفران الذي ناله له موسى ، وظهور الله تعالى لقائد بني اسرائيل . (٢: ٤٨ — ٥٢) « واذ واعدنا موسى اربعين ليلةً ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون . ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون . واذ قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا انفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم انه هو التوّاب الرحيم . واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتكم الصاعقة وانتم تنظرون . » (راجع ايضاً ٢ : ٦٠-٦١ ؛ ٧: ١٣٨-١٥٣) وكله بهذا المعنى دليل واضح على ان صوم المسلمين حلّ محلّ صوم اليهود .

وقد يذهب المحدّثون الى ابعد من ذلك ويجعلون ايضاً خلاص اليهود من اعدائهم ، او انتصار موسى على فرعون ، سبباً لانشاء يوم عاشوراء .

حدث ابن العباس عن النبي قال : اني احقّ بموسى منهم . وليس من شأننا التفتيش عن اصل الحديث لكن حسبنا ان يكون مصداقاً للقول ان الاسباب التي وردت في القرآن اساساً لتأسيس الصوم عند المسلمين ، هي التي كانت في اعتبار يهود القرن السابع اساساً ليوم الغفران ، اخذًا عما عرفوه من اخبار موسى .

ولماذا يطول صيام المسلمين شهرًا كاملًا ؟ – ان العرب في الجاهلية كانوا يعتبرون الشهرَ القسم الزمني الوحيد في الحياة الدينية والمدنية فلا عجب ان تكون تلك الوحدة في الزمان صارت مدة للصيام : « ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرًا ... منها اربعة حُرُم. » اما كون صوم عاشوراء صار سبباً لادخال صوم شهر كامل فذلك التطور لم يحدث فجأة . وقد تنوه بذلك الآية « اياماً معدودات » وان امرها لمتاص على الشراح. على ان فصل عشرة ايام من شهر الصوم للاعتكاف قد يضع محطةً للتطور بين صوم يوم الغفران وصوم الشهر.

ولم يكن الاعتكاف جديدًا في الاسلام ، فان الجاهليين كانوا « يعكفون على اصنام لهم » (٧:١٣٧) لكن الاسلام خصه ببعض التحريمات . اما مدته فهي عشرة ايام ، فيها تقع ليلة القدر . ولم يعينوا هل تكون تلك العشرة في الثلث الاول من رمضان ام الثاني ام الثالث. على ان ممارسة عشرة ايام في الصوم « اعتكافاً » ، لا تزال شائعة في العبادة الاسلامية وبها فسروا «الايام المعدودة» الآتي ذكرها في القرآن. هذا وقد حدد محمد في غير موضع عدد عشرة ايام صيام « لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام » «تلك عشرة كاملات » (٢:١٩٦)

واعلم ان عدد عشرة ايام للصيام عريق القدم في استعمال الآراميين وهي التي تسبق يوم الغفران عند اليهود ، وهذا اليوم سماه المدونون عاشوراء او العاشر من الصوم . وان ما قلناه عن « الايام المعدودات » وعن استعاضة شهر رمضان لمن كان مريضاً او على سفر بعدة من ايام اخر ليذكرنا بالقاعدة المألوفة عند اليهود ، اي انه من الممكن تحويل الصوم من يوم الى غيره. واخيرًا اذا قابلت بين آية الغفران الواردة في الكلام على الصوم القرآني ، والآيات التي جاءت في التوراة بالمعنى ذاته ، كنت على بصيرة من الاسباب الداعية الى قولنا ان رمضان حلّ محلّ عاشوراء.

« واذا سألك عبادي عني فاني قريب ، اجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون » (القرآن ٢ : ١٨٢)

« والتمسوا الربّ ما دام يوجد، ادعوه ما دام قريباً » (اشعيا ٥٥ : ٦)

وغيرها من الصلوات التي تتلى ايام الصيام.

ف . ت .

فكتور بيرار والمدنية الهوميرية

في الرابع عشر من تشرين الثاني الفائت مات ، في فرنسة ، عالم كبير ، واديب مشهور ، ووجيه معروف في بلاده وهو فكتور بيرار عضو مجلس الشيوخ ، واحد اعلام اولئك « الادباء » الفرنسويين الذين عملوا على ازدهار الدروس اليونانية واللاتينية ، وبالتالي على تعزيز الثقافة التامة الكاملة ، ما لم يعمله شعب من الشعوب .

ولد فكتور بيرار في ١٠ آب ١٨٦٤ ، ودخل مدرسة المعلمين العليا في باريس سنة ١٨٨٤ ثم اصبح عضوًا في مدرسة اثينة الفرنسوية فاتجهت به امياله الى درس المدنية اليونانية اجمالًا ، وما تعلق بالمسألة الهوميرية خاصةً حتى اضحى اشهر وادقّ واوثق من تكلّم عنها . ولا تزال مؤلفاته عن هوميروس وآثاره ، ومعاصريه من الفينيقيين مورد كل باحث في هذه الموضوعات المهمة . واليه يرجع الفضل الاسمى لا بتزييف رأي وُلف (Wolf) المنكر هوميروس فحسب ، بل بانكار نسبة هذا الرأي الى وُلف . فبيّن بيرار في كتاب نشره سنة ١٩١٧ عنوانه « أكذوبة من قبل العلم الالماني » (*Un mensonge de la Science allemande*) ان وُلف سرق رأيه ذاك من الاديب الفرنسوي دوبينياك (d'Aubignac) في التأليف الذي ظهر بعد وفاته ، سنة ١٧١٥ ، بعنوان « آراء اكادمية عن الالياذة » (*Conjectures académiques sur l'Iliade*) هذا وقد اطلعنا في جريدة الفيغارو (*Le Figaro*) على بحث قيّم في العالم الفقيد للكاتب هوبر موران (Morand) فرأينا اطلاع قرائنا على اهم ما جاء فيه :

لا بدع ان قلنا أن بموت فيكتور بيرار خسرنا ركنًا من اركان العلم ، ورجلًا من رجالات الادب ، ما انفكّ منذ نصف قرن يبرز للعالم مولدات العقل اليوناني ، وقد البسها حلةً جميلة ، وذلك بفضل اطلاعه الواسع ، الذي ينمّ عن عقل فيه صائب ، ونفس على العلم غيورة ، وشخصية فردة بنوعها بارزة .

وليس بناه من سمعه يلقي محاضراته القيمة عن اثار هوميروس الادبية ، مبيناً خطأ الذين يزعمون ان المؤلفات المنسوبة لهوميروس ليست بالحقيقة سوى مولدات شعب كامل وثمار قرائح عديدة جمعها النقلة والمنشدون ، وان هوميروس ليس سوى اسم مستعار لغير مسمّى حقيقي . وقد ركّز نظريته على براهين استمدّها من اكتشافات له حديثة واستنتج صحة تلك النظرية من الوجهتين التاريخية والجغرافية .

فبيّن ان الالياذة والاوديسة لم تكونا معروفتين حتى اواخر القرن الفائت الا من مخطوطات بيزنطية كتبت مائة سنة بعد عصر شرلمان . ودامت هذه

الحال حتى سنة ١٨٩٠، وقت اكتُشف في احدى قرى الصيد مخطوطة يرجع عهدها الى القرن الخامس قبل المسيح ، عليها مقاطع من تآليف هوميروس. ومن الغريب ان تلك الشذرات تطابق مطابقة تامة نصّ المخطوطات البيزنطية المعروفة. فيتضح من هذا الوجه ان التآليف الهوميرية كانت ، ولم تزل ، هي هي منذ ثلاثة عشر قرناً قبل البيزنطيين. ويظهر من وجه اخر ان ما اتى هوميروس على وصفه من اثاث البيوت وزينتها ليس خيالياً بل حقيقة واقعية ، دلت على صحتها الاكتشافات الحديثة. فقد وُجد اناء هيلانة الذهبي ، وخنجر ميناوس ، وغيرهما من الآثار ، وتقرّر بعد الابحاث الدقيقة انها التي وصفها هوميروس بعينها . فلا يمكن اذاً بعد هذا نكران المدنية الهوميرية ، بل يجدر بنا ان نقدر حق رجل توصل من ٨٥٠ سنة قبل المسيح ، الى ايجاد فنّ يتطلّب موهبة عظيمة وعبقرية سامية مما تعجز عنه او تكاد القرائح العصرية.

وقبل ان ينتقل بيرار الى الوجهة الجغرافية ، ابان ان هوميروس كان يستعمل احرف الكتابة لانه ليس محتملاً ان رجلاً مثل هوميروس سليل امة نبغت دون جموع الانسانية طرّاً ، كان يجهل الكتابة وقد عُرفت طريقتها من قبل عهده، اذ وُجدت ، في حفريات جبيل ، كتابة ترجع الى السنة ١٢٥٠ ق.ب.

فبعد ان اثبت ڤيكتور بيرار صحة وجود هوميروس ونسبة تآليفه ومعرفته الكتابة ؛ هل نقدر ان نشك في صحة ما حكاه عن البلاد والشعوب ؟ كلا، في عرف ڤيكتور بيرار لان من تتبع الشاعر اليوناني في كل تنقلاته ، كما فعل هو ، لا يسعه الّا التيقّن من صحة ما وصفه هوميروس من الوجهة الجغرافية.

وهكذا تبحّر ڤيكتور بيرار في تآليف الشاعر اليوناني فتضلّع منها وتمكن من ادق حذافيرها وقد دفعته غيرته الى وضع الاوديسة بالافرنسية ، فابرزها بنثر بديع المبنى يكاد يكون شعراً ، على تحفّظه الشديد في اداء الاصل . وذلك مما يندر وجوده في نقل تآليف كهذه .

كل هذا يدفعنا الى الاعجاب برجل وقف حياته على العلم مجاهداً ، فقد دافع عن شاعر قديم تفرّد بعبقريته ، وهام من اجله باليونانيين وآدابهم هياماً يُديم ذكراه ، ويعدّه منهم خلوداً للزمن قاهراً.

نكبة لبنان

منذ اليوم العشرين من الشهر الفائت، وابصار اللبنانيين قاطبةً شاخصة نحو بكركي ، مقرّ شيخهم الجليل وقد ألمّ به مرض مقلق ؛ وقلوبهم متجهة نحو العلاء تسأل العناية الالهيــة ان ترفق بالشعب فتحفظ له ركنه في هــذه الايام العصيبة . وكانت الساعات تتوالى والنفوس تتدافع بين الامل والوجل ، حتى كانت الساعة الثانية من صباح الخميس في الرابع والعشرين من كانون الاول ١٩٣١ ، فتسارع على فم لبنان خبر المصيبة الوطنية ، ومشى في نسيم لبنــان نبأ الفاجعة القومية ، وردّدت اودية لبنان صدى الرزيئة الشاملة ، وتمايل ارز لبنان شاعرًا بلوعة ابنائه بفقد ابيهم وعميدهم وركنهم العظيم ، المثلث الرحمات

البطريرك الياس بطرس الحويّك

قضى شبان من الايام بعد ان ملأها ولبنانَ ، بل والشرقَ الادنى اجمع ، بجلائل الاعمال وعظائم المنشآت ، بعد ان تجشّم المشقات في تكوين هذا الوطن الحديث فجمع حول شخصيته البارزة الملل المختلفة ،والنحل المتباينة ؛ فكان الزعيم الكبير والمرجع الوحيد ، لم يهدأ له بال ولم ينم له طرف حتى رحد بين جميع العناصر ووضع الحجر الاخير، كما انه كان واضع الحجر الاول، في صرح الوطنية الحقة . فلا عجب ان اعتبر مأتمه مأتمًا وطنيًا ، فانتقلت السلطتان اللبنانية والمنتدبة برجالها الرسميين مع ممثلي الدول كلهم، الى بكركي للاشتراك بمأتمه العظيم الذي كان اشبه بظفر منه بجنازة . وتألّبت عشرات الالوف بالقلوب الخاشعة والابصار الشاخصة لوداع الراحل الكبير وكلهم يتمنى ان يشبع الطرف من مرأى القديس المسجى على سريره الاخير ،فيمكنه ان يقول في المستقبل : رأيت البطريرك العظيم !

لسنا الآن في موقف الرثاء والتأبين ، بل اننا نكتفي بذكر الفاجعة على ان نعود في العدد القادم ، والمجال افسح ، فنصف ما امتاز به شيخ لبنان من الصفات العبقرية ، وما قام به من الاعمال العظيمة .